الفصل الثاني

التطور التاريخي للفلسفة الواقعية المعاصرة

obeikandl.com

الفصل الثانى

التطور التاريخى للفلسفة الواقعية

الفلسفة الواقعية هى أحدى الفلسفات التى سادت فى القرن العشرين ولكن ترجع جذورها التاريخية إلى عصر الفلسفة اليونانية القديمة فى عهد "أرسطو" وما قبل "أرسطو" أيضاً. وإذا كان القرن التاسع عشر قد غلب على طابعه الفلسفة المثالية ، فأن القرن العشرين هو عصر الفلسفة الواقعية بل إن الفلسفة الواقعية كانت رد فعل للفلسفة المثالية عند "باركلى" و"هيجل" ولذلك كان معظم الفلاسفة الواقعيين مثاليين فى بداية حياتهم، ثم انقلبوا على الفلسفة المثالية وأصبحوا واقعيين. وأخذت الفلسفة الواقعية فى القرن العشرين تتشعب إلى عدة اتجاهات منها الواقعية الجديدة والواقعية النقدية وغير ذلك. ولذلك أخذت الواقعية المعاصرة معانى مختلفة باختلاف الفلاسفة، ورغم ذلك كانت لها أسس مشتركة لدى هؤلاء الفلاسفة الواقعيين منذ "أرسطو" حتى "راسل" و"وايتهيد" و"بيرى". ومن هنا تأتى أهمية هذا الفصل الذى هو عبارة عن تعريف الفلسفة الواقعية وتطورها التاريخى وأهم ملامحها ويستهدف هذا الفصل رصد هذه المعانى المختلفة للواقعية من خلال المحاور الآتية :-

أولاً :- تعريف الفلسفة الواقعية.

ثانياً :- التطور التاريخى للفلسفة الواقعية.

١- أرسطو.

٢- فرنسيس بيكون.

٣- توماس هوبز.

٤- جون لوك.

٥- جان جاك روسو.

٦- جون استيوارت ميل.

٧- الواقعية النقدية.

٨- الواقعية الجديدة.

٩- الواقعية فى انجلترا.

أولاً :- تعريف الفلسفة الواقعية:

الفلسفة الواقعية هى تلك الفلسفة التى تبدأ من الواقع وليس من الذات،أو هى بوجه عام:"نزعة تقدم الأعيان الخارجية على المدركات الذهنية"ولذلك فإن الفلسفة الواقعية لا تريد أن تضحى بوجود الطبيعة والأشياء فى سبيل الذات ، فهى تؤكد على "أن الوجود الحقيقى هو الوجود المادى وهى على العكس من الفلسفة المثالية التى تؤكد أن الفكر هو الوجود الحقيقى" [1].ولا يعنى ذلك أنها تفسر الكون بمبدأ واحد هو المادة لأن الواقعيين أكدوا على الكثرة فى الكون ، المهم أن الفلسفة الواقعية ترى أن نقطة البدأ هى الواقع سواءاً كان هذا الواقع علمياً أو لغوياً أو ماديا أو قيمياً أو اجتماعيا على خلاف بين الفلاسفة. وإذا كانت المثالية تصر على قراءة الطبيعة من خلال الذات وتربط وجود الأشياء المحسوسة بالذات،فإن الواقعية على العكس تعترف بوجود مستقل للطبيعة وللأشياء،والعلاقة بين الأشياء والذات علاقة ديناميكية تؤثر الذات فى الأشياء وتتأثر بها وليست علاقة تسير فى اتجاه واحد من الذات إلى الأشياء،ومن الخطأ الشائع القول "بأن الواقعية جعلت الذات فى موقف سلبى محض تتقبل التأثيرات الحسية من الخارج كما تفعل آلة

---

(1) المعجم الفلسفى ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٢١٠.

(2) A.R. Lacey :Dictionary of philosophy" London third edition, P. 297

التصور بالنسبة إلى الصور الفوتوغرافية التى تلتقطها ، فهذا القول ليس إلا افتراء صارخاً على الواقعية الفلسفية. لأن الواقعية لم تلغ الذات لحساب الأشياء بل أرادت أن لا نكتفى بالاستماع إلى صوت الذات وفاعليتها فى عملية الإدراك وأرادت أن نشرك معه فاعلية الأشياء أو فاعلية الطبيعة. إذ لعل الطبيعة قادرة على الوقوف على أرجلها وحدها ولعل لها فاعلية أو نشاطاً خاصاً لها ولعلها قادرة على إحداث تشكيلات وتجمعات بين الأشياء تجدها الذات فى مواجهتها عند فعل الإدراك. والواقعيون يريدون أن لا يضحوا بكل هذه الفاعلية التى للطبيعة أو على الأقل يريدون أن يعترفوا بوجودها بجانب اعترافهم بفاعلية الذات" [1] على ذلك فإن الفلسفة الواقعية قد قامت على أساس أن نقطة البدأ من الواقع وأن هذا الواقع مستقل عن الذات ويتصف بالصفات الآتية :-

أ- التغير : إن الواقع ليس ثابتاً كما يبدو لنا ولا جامداً صلباً بل هو دينامى متغير ، لا يعرف الثبات ولا الجمود ، فكل ما فى الكون فى تغير دائم وسيلان مستمر لا يعرف التوقف.

ب- الكثرة : الكون كثرة ، وتعدد لا يمكن حصره ، فالموجودات كثيرة فى هذا الكون وهى كثرة حقيقية وليست زائفة.

ج- التطور : هذا الواقع يتطور وينمو نمواً لا حد له.

د - الاستقلال : فهو مستقل عن الذات سواء أدركته الذات أم لم تدركه .

هـ- الوجود الحقيقى : هذا الواقع له وجود حقيقى وليس وجوداً زائفاً على عكس الفيلسوف المثالى الذى كان يرى أن الوجود الحسى ليس هو الوجود الحقيقى ، كما يرى "أفلاطون" وغيره من المثاليين ولكن

([1]) يحيى هويدى،"دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة".القاهرة،دار الثقافة ، ١٩٨١ ، ص ١٩٣ - ١٩٤.

الفيلسوف الواقعي يرى أن الوجود الحسى المادى هو الوجود الحقيقى ، فهذه الأشجار والجبال والأنهار لها وجود حقيقى ، وليست ظلاً أو وهماً أو مجرد أفكار فى عالم ذهني ولكن الوجود الحقيقى هو الوجود المادى الحسى ويقسم "راسل" الوجود المادى إلى قسمين الأول : الفينومين Phenomen وهو مظهر الشئ ،والثاني النومين Nominee وهو جوهر الشئ والإنسان لا يستطيع أن يعرف إلا الفينومين مظهر الشئ ،وسيتضح ذلك من خلال التطور التاريخي للفلسفة الواقعية في الصفحات الآتية:

ثانياً :- التطور التاريخى للفلسفة الواقعية:-

١- **أرسطو** : (٣٨٤ : ٣٢٢ ق.م) Aristotle أحد أشهر فلاسفة اليونان ، وأكثرهم تأثيراً على مر العصور ، ولد فى "أسطا غيرا" ثم سافر إلى أثينا ليستكمل تعليمه فدخل الأكاديمية ، فسماه "أفلاطون" "العقل" لذكائه الخارق ، ولما توفى أفلاطون غادر "أرسطو" أثيناه ثم كون لنفسه مذهباً فلسفياً وأنشأ مدرسة "اللوقيون" وكان "أرسطو" يلقى دروسه وهو يتمشى وتلاميذه يسيرون من حوله،ولذلك لقب هو أتباعه بالمشائين،وكانت الدراسة فى مدرسته على نوعين : صباحية مخصصة للتلاميذ وتدور الدراسة حول الفلسفة ، ومسائية عامة تدور حول الخطابة وقد كتب "أرسطو" مؤلفات عديدة،ففى شبابه كتب مؤلفات كثيرة ولكن ضاعت جميعاً ، أما مؤلفات الكهولة فقد بقى معظمها ، كما كتب "أرسطو" مذكرات خاصة ، كان يكتب فيها معلوماته الخاصة بأبحاثه ، أما المؤلفات التعليمية التى كان يدرسها للطلاب فهي الموجودة الآن بين أيدينا ، و"لأرسطو" كتب فى المنطق والطبيعيات والميتافيزيقا والأخلاق والسياسة والفنون والتربية،إن "أرسطو" كان واقعياً فى فلسفته الطبيعية ، وانعكس ذلك على التربية عنده سواء

obeikandl.com

كـــانت تربية عقلية،أو أخلاقية ، أو جسمية ، فقد اهتم "أرسطو" بتربية العقل باعتـــبار أن أهـــم مـــا يميـــز الإنسان عن الحيوان هو العقل ، وفى كتبه الأخلاقيـــة ، يـــبدأ "أرســـطو" بحثه فى الأخلاق بالبحث عن الخير الأقصى والســـعادة حيث يرى أنه ما من عمل أو علم إلا وكانت الغاية منه تحقيق خير ما ، والخير الأقصى كما يرى "أرسطو" هو السعادة ، وأن هدف الحياة ليس الخير فى حد ذاته ، بل السعادة لأننا نختار السعادة لذاتها ، لا لشىء آخر ولذلك اعتبر "أرسطو" "السعادة هى الهدف من التعليم" (١) بينما كانت المعـــرفة هى الهـــدف من التعليم عند "أفلاطون"، ويرى "أرسطو" أن الدولة هى المسئولة عن تحقيق النظريات الخلقية ، لأن الناس يتجنبون الشر خوفاً من القصاص ، والأسباب التى تؤدى إلى تحقيق الفضيلة ثلاثة هى الطبيعة والعـــادة والتعـــليم ، و"أرســـطو" يعنى أن الفضائل لا تنشأ فينا بالطبيعة أو الفطـــرة ولكـــن الطبيعة قد هيأتنا لتلقى الفضائل وقبولها والعادة هى التى تجعلنا كاملين ، والعادة عند "أرسطو" هى التربية الخلقية ، ومن الواضح أن الفضـــيلة ليســـت انفعـــالاً ولا قوة طبيعية وإنما الفضيلة هى عادة خلقية مكتســـبة أو هى طـــريقة لســـلوك الإنسان عند انفعالات معينة ، فالفضيلة ليســـت موجـــودة فى الإنســـان بالطبيعة ولكنها مكتسبة ووجودها يتطلب شـــرطين أساســـيين: الارادة القوية والتعود على ممارستها،ولذلك إذا تعود الإنسان من منذ الصغر أن يفعل السلوك الفاضل فسيكون من السهل عليه دائماً أن يختاره بل سيشعر بلذة وسرور عند ممارسته،لذلك ينادى "أرسطو" بضرورة تدخل المربى فى تكوين العادات الحسنة فى الأطفال ، ويستخدم فى ســـبيل ذلك العقاب والجزاء حتى تتمكن العادة من صاحبها،وتصبح له بمـــثابة طـــبيعة ثانيـــة تساعده فى المستقبل على اختيار الفعل الخير فى

- Paul Monroeu "History of Education" London, Macmilan, Co, P. 68

الحياة ، ويؤكد "أرسطو" أن الفضيلة لا توجد إلا عندما يكون العقل فى حالة جيدة ، عندئذ يستطيع العقل أن يأمر باتباع ما هو أحسن وأفضل ، والفضيلة الأخلاقية هى وسط بين طرفين كلاهما رذيلة ، فالشجاعة فضيلة وسط بين التهور والجبن ، والسخاء فضيلة وسط بين البخل والتبذير ، والوداعة فضيلة بين الحدة والخمود ومن هنا فإن الفضيلة هى الطريقة الوسط ، أو الوسط الذهبى حيث تنظم الأخلاق فى شكل ثلاثى يكون الطرفان الأول والأخير فيه تطرفاً ورذيلة والوسط وحده فضيلة وهكذا يكون بين التهور والجبن فضيلة الشجاعة ، وبين البخل والأسراف فضيلة الكرم" [1] وأن هذه الفضيلة يمكن أن تكتسب بالمران والعادة ، وأخيراً يؤكد "أرسطو" على أن وظيفة الدولة هى الوظيفة التربوية وهدفها أن تهيئ لأفرادها الحياة السعيدة التى يتمتعون فيها بممارسة أفضل وظائف الإنسان وهما الحياة الفاضلة الخلقية والنظر العقلي ومن هنا كان اهتمام "أرسطو" بكل من التربية الخلقية والتربية العقلية اهتماماً كبيراً ، وقد سيطرت أفكار وأراء "أرسطو" طوال العصور الوسطى حتى جاء عصر النهضة واهتزت أراءه بظهور منهج التجريب والبحث العلمى على يد "فرنسيس" بيكون.

٢- فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) Francis Bacon فيلسوف انجليزى ، ولد فى لندن ، وظل يترقى حتى وصل إلى منصب قاضى القضاة عام ١٦١٨ ، ويدور فكره الفلسفى حول رفضه للمعرفة النظرية ، والاهتمام بالمنهج التجريبى ، من أهم مؤلفاته "الأرجانون الجديد" الذى قدم فيه نقداً "لأرسطو" ، وكذلك ينقد الأخطاء الشائعة فى العقل الإنسانى بصفة عامة التى وقفت عقبة فى سبيل التقدم العلمى ، ومن أهم العقبات والأوهام:

---

[1] - Will Durant "The story of philosophy" New York., Garden city, Co, P. 86

١- أوهام القبيلة:

أخطاء شائعة مشتركة في العقل الإنساني بصفة عامة مشتركة بين جميع البشر فهي خاصة بالجنس الإنساني عامة ومتأصلة في تركيب العقل الإنساني الذي لا يقبل إلا ما يوافق غروره ، كما يفترض أن في الطبيعة نظاماً أكثر مما في الواقع،العقل يميل بطبيعته إلى التجريد والثبات والتسكين لكل ما هو متحرك والعقل لعبة في يد الأهواء والغرائز وهو يتعلق بالخرافات والسحر والتنجيم[١].

٢- أوهام الكهف:

كل انسان سجين كهفه ولا يفكر إلا طبقاً لمزاجه الخاص ، وكل واحد يحكم على الأشياء طبقاً لطبيعته ومزاجه الخاص وتربيته وثقافته ومجتمعه وبيئته التي نشأ فيها وصدق"هرقليطس" : أننا نبحث عن المعارف في عوالمنا الخاصة لا في العالم الكلي المشترك بيننا جميعاً [٢].

٣- أوهام السوق:

الناس تتفاهم عن طريق اللغة ، وأكثر كلمات اللغة غير دقيقة والعبارات غير سليمة فتكون عقبة أمام العقل وهناك كلمات لا تدل على أشياء ، الغموض هنا يوقع العقل في الأخطاء.

٤- أوهام المسرح:

أوهام خاصة بالعلماء والفلاسفة وكل فيلسوف يقدم لنا تصورا شاملا للكون والوجود الحقيقي،والناس تعتقد في صحة كل ما يقوله الفيلسوف وكأنها تمثيلية قام بإخراجها الفلاسفة أنفسهم.

---

[1] - W. Durant "TheStoryof Philosophy. P. 165.

[2] Ibid·P. 166.

العقـل الـذى يخضـع لكل هذه الأوهام هو عقل واهم مريض ويجب أن يستبدل به العقل السليم فما هو العقل السليم ؟ هو الذى يسير وفقاً لخطوات المنهج العـلمى الـذى يعـتمد عـلى الملاحظة والتجربة ، وبذلك يكون"بيكون"قد وضع الخطوات الأولى للتفكير العلمى فى العصر الحديث.

"ولـبيكون"هدفان وراء كل دوافعه وإنتاجه الفكرى:الأول هو تحويل العلم إلى مـنفعة تفيـد الإنسان ، والهدف الثانى هو تطوير طريقة الاستقراء فى البحث لتسـاعد الإنسـان على إخضاع الطبيعة لإرادته والسيطرة عليها. وقد كان"بيكون" يرى ضرورة تغيير المناهج من مناهج استنباطية إلى استقرائية،وقد حدثت تغييرات فى الاتجاهـات والمناهج العلمية منذ عصر النهضة أدت إلى طريق التجريب ، وعبر "بيكون" عن ذلك في نقده " لأرسطو " وللإغريق عامة فيقول "إنهم تكلموا كثيراً وعملوا قليلاً ، وكانت حكمتهم ثرثرة غير مجدية ولا منتجة (١)

ويـرى"العقـاد" أن"بيكون"لم يكن أول من علم الناس منفعة العلم فى خدمة الإنسـان ولا أول مـن أقامـه على أساس التجربة والاستقراء. ولا يقدح ذلك فى فضـل رسالته لأن أصحاب الرسالات الفكرية جميعاً صدق عليهم ما يصدق عليه .. "ولكـنه وحده قد اهتدى إلى الموضع من الحقائق الحرى بالتوكيد والتقرير ، وبشـر بالفكـرة التى يستدعيها الزمن الحاضر والزمن المستقبل من بعده. وكانت بحق طليعة الكشوف الموالية فى العلم الحديث".(٢)

لقـد نادى"بيكون"بأن المنفعة غاية المعرفة الإنسانية ، وأن الأقيسة مضللة لـلعقل تقوم على الفرض والتخمين ، نادى بهذا فى زمن كان الناس فيه يحتقرون الانتفاع بالعلم لاعتقادهم أن الآخرة هى محور كل الحياة وأن الزهد فى الدنيا صفة العلماء.

---

(١) سعد مرسى أحمد "تطور الفكر التربوى" مرجع سابق ص ٤٠٢.

(٢) المرجع السابق ، صـ ٤٠٣ .

ولـــم يرفض "بيكون" الأقيسة برمتها ، فقد اعتبر الأقيسة "توقعاً للعقل" وأنها تســـتخدم ولكـــن فى حدود. أما طريقة الاستقراء فهى الموصلة إلى تقرير درجة الـــتأكيد ، وهى تستخدم فى الكشف عن العلم فى ترجمة الطبيعة ، وبهذه الطريقة يســـيطر الإنسان على الطبيعة. ويرى "بيكون" أن العلم والسعادة البشرية صنوان ، ولاحد من مثل هذا العلم وتلك السيطرة والإنسان إن هو إلا خادم ومترجم للطبيعة فكـــل مـــا يصـــدر عنه ، بل كل ما يعرفه ويتحصل عليه نتج عن ملاحظته نظام الطـــبيعة ، فى الحقيقـــة أو فى تفكيره ، وفيما عدا هذا فإنه لا يعلم شيئاً ولا يمكنه القيام بشىء لأن سلسلة الأسباب لا يمكن لأى قوة فصم عراها ، ولا يمكن السيطرة على الطبيعة إلا بالخضوع لها. وعلى ذلك فإن موضوعى المعرفة البشرية يلتقيان فى الواقع فى نقطة واحدة ، والسبب فى فشلنا فى العمل هو جهلنا بالأسباب.

وفى رأى "بيكـــون" أنـــه لا بد للعقل البشرى من التخلص من عوائق البحث الـــتى تقـــف عقبه أمامه ، وقد أطلق على هذه العوائق اسم Idols أى الأصنام أو الأوهـــام وســـماها البعض الأوثان . وهى هذه العقائد والموروثات التى تنحرف بالإنســـان عـــن قصـــده وتميل به إلى السخف والضلال. وقد عبر عنها فى كتابه Novum Organon (القسطاس الجديد أو القانون الجديد).

وقـــد كان "بيكون" يحلم بعلماء يجمعهم التعاون والاختلاط الدائم ، وفكر فى إنشـــاء منظمة كبيرة توحد هدفهم وتكون هذه المنظمة دولة لا تحدها حدود الدول حيـــث تجعـــل مـــن العالم وحدة ثقافية واحدة ، وقد لاحظ بيكون ضعف الشعور والرابطة بين الكيات والجامعات فى جميع أنحاء أوربا وإنجلترا "ويدعو جميع هذه الجامعـــات إلى تحديـــد وتوزيع القضايا بينها والتعاون فى البحث والنشر ، وبهذا الـــتعاون والارتـــباط تصـــبح الجامعات جديرة بالمساعدات والتأييد الملكى الذى ســـيجعلها جامعـــات مثالية تعتمد على تعليم عادل يسود العالم.وقد كتب "بيكون" عن ضـــآلة المرتبات المخصصة للمحاضرات العامة سواء فى العلوم والفنون ودعا

إلى أن تتولى الحكومات مهام التعليم [1]" وحلم "بيكون" غزو الطبيعة وتوسيع قوة الإنسان وسيطرته على الطبيعة.

"ومن آرائه فى التربية تراه يتهكم على الكلاسيكيات فيقول أنه لا يشرفنا أن نقف الحدود العقلية عند اكتشافات العلماء ، ولذلك يجب أن تتجه الدراسة نحو الطبيعة كلها ، والمعرفة المشتقة من الطبيعة هى الصالحة للدراسة ، وهى تأتى بطريق الحواس ، وهى الحقيقة المثمرة ، وإذا كانت هذه هى مواد الدراسة فإننا نجده تناولها بطريقة جديدة هى الانتقال من دراسة الجزئيات إلى القواعد والمبادئ العامة [2]".

ويلخص موقف بيكون فى أنه رأى وجوب إعادة تربية الإنسان بطريقة علمية وسوف ينشأ نظام اجتماعى جديد مؤسس على البحث العلمى فى مظاهر الطبيعة باستخدام الاستدلال الاستقرائى. ويرى أن العلم كفيل أن يحسن ظروف الحياة المادية ويسعد الناس ويعمل على رفاهيتهم .. وإذا استطاعت المدارس أن تنشر المعرفة فإن هذا سيؤدى إلى حل المشكلات التى حيرت البشرية. وفى خطته التربوية اعتقد أن المعرفة قوة ، وأنه إذا تحسنت معارف الناس تحسنت أحوالهم.

ولم يرفض الإلهام الإلهي ، ولكنه رفض أن يلعب أى دور فى التربية ، فكل ما يدور فى حلبة التربية يجب أن يؤسس على المعرفة العلمية.

٣- توماس هوبز (١٥٨٨ - ١٦٧٩) T. Hobbes

فيلسوف إنجليزى ، اهتم بوضع أصول جديدة للفلسفة السياسية ، فوضع نظرية فى الدولة تحقق للفرد حريته وللمجتمع الأمن والسلام ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "التنين" وكتاب "فى المدينة" وكتاب "الطبيعة الإنسانية" الذى يرى فيه الإنسان

---

[1] - W. Durant "The Story of Philosophy. P. 169.

([2]) سعد مرسى أحمد "تطور الفكر التربوى" ص ١٠٥.

يستطيع إدراك الأشياء بواسطة الانطباعات التى تحدث على أجسامنا ، وعندما نفكر نستخدم هذه الانطباعات المباشرة أو غير المباشرة بواسطة التذكر ، ويعتقد "هوبز" أننا ندرك فى الواقع ظواهر الأشياء أو مظاهرها عن طريق الحواس وما الإحساس إلا نتيجة رد فعل لتأثير الأشياء على الحواس ، وهو يعتبر الإحساس حركة داخل جسم الإنسان وهى استمرار للحركة الخارجية ، وعندما يضعف الانطباع الحسى الذى يأتينا عن طريق العين مثل الضوء والشكل واللون ، أو الأذن مثل الصوت ، أو الأنف مثل الرائحة ، فإنه يتحول إلى صور فى المخيلة ، وتختزن الذاكرة هذه الصور ، أما الذهن الإنسانى فوظيفته الإدراك والربط بين الإدراكات المختلفة والاستدلال العقلى.ومن الواضح أن نظرية المعرفة عند "هوبز" ترجع إلى الإحساس والإنطباعات الحسية ، حيث يفسر جميع العمليات العقلية تفسيراً حسياً ، والمعلومات كلها مصدرها الحس ولا يمكن أن يصل إليها الإنسان إلا عن طريق الحواس .

كيف تتم المعرفة عنده ؟

١- قراءة كتب القدماء.

٢- ملاحظة الناس والظواهر.

٣- دراسة الذات الإنسانية دراسة مباشرة.

إننا ندرك ظواهر الأشياء ومظاهرها عن طريق الحواس فنظرية المعرفة تستند إلى الإحساس وكل ما هو موجود فى النفس مصدره الإحساس.قديما"أرسطو" كان يقول:أن الإنسان حيوان مدنى يعيش مع الآخرين،ولكن"توماس هوبز" عكس القضية فقال : إن الإنسان ليس مدنيا بل همجيا وشريرا ومتوحشا ينفر من القوانين والنظم يحاول أن يحقق مصلحته الخاصة ، لديه رغبة قوية فى الحياة

obeikandi.com

تجعله يعتدى على الآخرين ، فروح العداء كامنة فى كل نفس إنسانية.ويرى "هوبز" أن كل إنسان قادر على قتل الآخر،والإنسان حينما يخضع لأهوائه وإنفعالاته يصبح كالوحش الجاسر الذى لا يعرف الرحمة والتسامح.وطبيعة التربية كبح جماح الشر هذا الشر الكامن فى الإنسان.ويرى "هوبز" أن كل فرد فى المجتمع يحاول أن يحقق مصلحته الخاصة ، ومن هنا ينشأ الصراع فى المجتمع،وإذا انساق كل فرد لأهوائه ، لأصبح المجتمع فى حالة من الفوضى الدائمة،لأن الإنسان ليس إجتماعياً بطبيعته وروح العداء كامنة فى كل نفس إنسانية.ولذلك فهو يرى أن الناس فى الحالة الطبيعية يخضعون لحالة من الخوف العام،فكل فرد يخشى الآخر ويحذر منه ويتجنبه ، والناس فى المرحلة الطبيعية فى حالة حرب وفى هذه الحالة لا توجد أية مظاهر للحضارة الإنسانية من زراعة أو صناعة أو علوم أو فنون،ولكن نشأ العقد الاجتماعى الذى يتأسس عليه المجتمع بإرادة الأفراد حيث يتنازل كل فرد فى المجتمع عن حقه الطبيعى،وأن يعطى لنفسه نفس القدر من الحرية الذى يعطيه للآخرين،وذلك من أجل تحقيق السعادة للمجتمع،ولا تتحقق السعادة إلا إذا تنازل كل فرد من الشعب عن بعض حقوقه للحاكم الذى يمثل إرادة الشعب.و"هوبز" يفرض على الحاكم أن يحقق للشعب الخير والأمن والسلام ، وأخيراً فإن فلسفة "هوبز" السياسية أثرت فى إنجلترا وألمانيا وغيرها من الدول.

٤- جون لوك John Locke (١٦٣٢ - ١٧٠٤)

فيلسوف إنجليزى تجريبى واقعى ، ولد فى "رينجتون بإنجلترا" فى ٢٩ أغسطس سنة ١٦٣٢ أثناء حكم الملك "شارل الأول"، وكان أبوه محامياً ، شارك فى صفوف البرلمان حين اندلعت الحرب الأهلية [١] ، عاش "جون لوك" فى فترة اضطرابات سياسية ، فكانت هذه البيئة السياسية التى نشأ فيها من أكبر العوامل

---

(١) قامت الحرب الأهلية فى إنجلترا بين أتباع الملك شارل الأول واتباع البرلمان وانتهت بإعدام الملك وقيام الجمهورية عام ١٦٥٣.

الـــتى أدت إلى تفـــتح ذهـــن"لوك"على بعض الأفكار السياسية وتوجيه نظره إلى الاشـــتغال بالسياســـية فيمـــا بعد بحيث جعلت منه بعد ذلك فيلسوف الحرية لافى إنجلترا وحدها بل فى أوربا كذلك [1] .

وممـــا هو جدير بالذكر أن"لوك"لم يتأثر كثيراً بالمناهج التى كان يدرسها ، والـــتى تتلخص فى دراسة القواعد والترجمة المتعلقة باللغتين اليونانية واللاتينية ، كما أنه لم يحب النظام القاسى الذى كان يسود المدارس الإنجليزية فى ذلك الوقت وراح يـــنقده ، وحاول أن يضع أسساً جديدة لتربية تقوم على شىء من الحرية والـــرونة وقد وصف"لوك"تلك الطريقة القديمة ومقترحاته لتربية جديدة فى كتابه « أفكار عن التربية» عام ١٦٩٣ " Some Thoughts Concerning Education " ومـــن الناحية الفلسفية التحق بجامعة "أكسفورد" لدراسة الفلسفة التى وجدها خليطاً من فلسفة العصور الوسطى والفلسفة الأرسطية ممتزجة ببعض العبارات الغامضة والمشـــكلات المـــبهمة،ولكـــنه اهتم بدراسة الفيلسوف الفرنسى"ديكارت"فوجد فى كـــتاباته الوضوح والسهولة والدقة والثورة على الفلسفة المدرسية القديمة،واستمر "لـــوك"فى دراسته الفلسفية فى أكسفورد مدة أربع سنوات حصل بعدها على درجة الـــبكالوريوس ثـــم الماجســـتير ثم عين عام ١٦٦٠ محاضراً فى الفلسفة اليونانية وفلســـفة الأخـــلاق فى مدرسة الكنيسة بأكسفورد مع استمراره فى متابعة دراسته للمـــنطق والميـــتافيزيقا والتاريخ والفلك والطبيعة والطب وبعض اللغات.ولذلك لم تكـــن أهميـــة "جـــون لوك"مقصورة على ميدان الفلسفة بل تعدته وانتقلت بطريقة طبيعية تطبيقية إلى ميدان السياسة والتربية ، والطب وغير ذلك.وترجع أهمية"لوك" فى تاريخ الفلسفة إلى أنه يعتبر أول من ناقش مشكلة المعرفة بمعناها المعروف ، حيـــث اهتم بمشكلة المعرفة من حيث أصلها ومداها ومصادرها وطبيعتها،وخاصة التفرقة بين الصفات الأولية والصفات الثانوية،وتحليل فكرة الجوهر واللغة ومعانى

---

(1) عزمى إسلام "جون لوك"،القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٦ ، ص ٧.

الكلمات والمعرفة الفطرية وبإختصار طبق"لوك"الاتجاه التجريبى فى الفلسفة على نظرية المعرفة.ويمكن تلخيص أهم العوامل التى تقوم عليها فلسفة"لوك":

١- اتجاه تجريبى علمى مصبوغ بالصبغة الحسية.

٢- اتجاه عقلى مصبوغ بالصبغة الميتافيزيقية فقد استطاع"لوك"أن يبلور العناصر التجريبية والاتجاهات العلمية بالمنهج العقلى عند"ديكارت"وقدمها فى شكل فلسفة تجريبية نقدية جديدة،وكان أول ما ذهب إليه"لوك"هو رفضه القول بالمعرفة الفطرية الأولية فى العقل والتى أبدها"أفلاطون" و"ديكارت" و"أفلاطونيو كمبردج"، وقد بدأ"لوك"فى كتابة"مقالة فى العقل البشرى " An Essay Concerning Human understanding " بمناقشة نظرية المعرفة الفطرية ، فاستعرض الآراء القديمة والحجج التى أُستخدمت لتدعيم هذه النظرية مفنداً إياها واحدة بعد الأخرى قائلاً "إن هناك اعتقاداً قوياً ثابتاً عند بعض الناس بوجود المبادئ الفطرية أو الأفكار الأولية كما لو كانت محفورة فى العقل أو مطبوعة عليه ، تلقتها الروح منذ وجودها القديم وجاءت بها إلى هذا العالم [1] وفى هذا النص يشير إلى "أفلاطون" الذى ذهب فى محاورة" فيدون" إلى أن النفس أزلية أبدية – بمعنى أنها كانت قبل أن تهبط إلى هذا العالم وترتبط بالجسد كانت موجودة فى عالم آخر ، أسمى من عالم المحسوسات هو عالم المثل والخير والجمال والحق،وفى عالم المثل الذى عرفت فيه جميع أنواع المعرفة ، ثم أرتبطت بالجسد وأصبحت المعرفة تذكر لما كانت تعرفه من قبل.

ويرى"لوك"أن الأفكار ليست مطبوعة على العقل لأنها ليست معروفة بالنسبة للأطفال والبلهاء وغيرهم.

[1] John Locke " An Essay Concerning Human understanding London, word, Lock Co. 1920. P. 12.

لأنـــه من الواضح أن جميع الأطفال والبلهاء ليس لديهم أدنى فهم أو فكر عـــنها ، "فـــإذا كـــان للأطفـــال والبلهاء أرواح وعقول طبعت عليها هذه الانطـــباعات فإنهم لا محالة مدركون إياها ، وبالتالى يعرفون هذه الحقائق ويوافقـــون عـــليها ، وطالما أنهم لا يفعلون ذلك فمن الواضح أنه لا وجود لمـــثل هـــذه الانطباعات لأنها إذا لم تكن أفكاراً مطبوعة بطبيعتها ، فكيف تكون مفطورة ؟ وإذا كانت أفكارا مطبوعة ، كيف تكون غير معروفة ؟ أن القول بأن هناك فكرة مطبوعة فى العقل ، ثم تقول فى نفس الوقت إن العقل جـــاهل بهـــا ولم يلحظ وجودها عن الإطلاق ، معناه أن هذا الإنطباع ليس شـــيئاً بالمـــرة" [1]. فـــإذا كان للأطفال والمجانين عقول طبعت عليها هذه الانطـــباعات فهم لا بد أن يدركوها ويوافقوا على صحتها بالضرورة بينما الواقع على خلاف ذلك ، وبالتالى ليس هناك أفكار مطبوعة أو فطرية يولد الإنسان مزوداً بها وإلا كيف تكون فطرية وغير معروفة !!!

وإذا كـــان العقل لا يحوى أفكاراً فطرية فإنه صفحة بيضاء ، وأن المعرفة تـــرتد إلى مصدر واحد فقط هو التجربة أو الخبر ة Experience ، فالعقل يستمد كـــل خـــبراته ومعلوماته من التجربة ، وعلى ذلك فالإحساس سابق على التفكير ، وليـــس هـــناك شىء فى العقل ما لم يكن من قبل فى الحس ، والتجربة عند"لوك" تعـــتمد عـــلى الملاحظة التى تنقسم قسمين ملاحظة خارجية موضوعية وملاحظة داخـــلية ذاتيـــة الأولى تعـــتمد عـــلى إدراك الإنسان للمدركات الحسية الخارجية الموضوعية بينما الثانية تقوم على ملاحظة الإنسان لعملياته العقلية الداخلية ، وأهم أفكار"لوك"التربوية :-

[1] - Ibid,P. 13.

obeikandi.com

(١) يؤمن بأن الخبرة أساس كل المعرفة ، فالطفل يولد وعقله صفحة بيضاء. إن مصدر كل أفكارنا خبراتنا الحسية ، وإدراك الظواهر الداخلية أى نشاط الفهم.

(٢) يؤمن "لوك" بالإلهام الإلهى ، ولكنه ترك هذا الموضوع ليكون تحت بحث العقل البشرى.

(٣) يؤمن بضرورة التربية الجسمية والخلقية ، وأن يبدأ الطفل تعلمه بالمحسوسات. ولهذا – ففى رأى البعض – يصنف "لوك" بين جماعة الواقعين الحسيين.

(٤) تهدف التربية إلى : قوة الجسم ، واكتساب المعرفة و صلاح النشأة وتهذيب السلوك وترتبط هذه الأهداف ببعضها فالمعرفة ترتبط بصحة الجسم وحسن الخلق والنشأة الطيبة. ويظهر اهتمامه بتربية الجسم فيقول :إن العقل السليم فى الجسم السليم [١].

(٥) ينبغى لكى ينمو الأطفال نمواً جسمياً صحيحاً ، ألا يلبسوا ملابس ثقيلة تدفئهم شتاء ، وأن يسيروا ورءوسهم عارية. وأن يناموا مبكراً ويتيقظوا فى وقت مبكر. والنوم ثمانى ساعات. والتقشف مستحب.

(٦) يرى أهمية التربية الخلقية ، فيكون الجسم قوياً ليكون قادراً على تنفيذ أوامر العقل ، فالجسم القوى قادر على تحمل مختلف الصعاب .. حتى رغباته.

(٧) يجب أن يتعلم الطفل إنكار الذات والسيطرة الذاتية ، ويجب أن يخضع الأطفال رغباتهم ومطالبهم فلا يندفعون وراءها. فلا يحصلون على شىء لأنه يرضيهم ، ولكن لأنه يصلح لهم.

---

(١) سعد مرسى أحمد،"تطور الفكر التروى"،ص ٤١٣.

obeikandl.com

(٨) تهـدف التربية الأولى إلى تكوين العادات الصالحة ، ويتدرب الأطفال عـلى تقـبل أوامـر الأب والمعـلم ، عن أن يتحكم الخوف فى تحديد سـلوكهم فى طفولـتهم ، ويتحول محور السلوك إلى الحب والصداقة عندما يكبر الطفل ، ومع ذلك فيرى "لوك" أن العقوبة الشديدة غير مجدية ، وينصح باستخدام المدح.

(٩) يهـتم ببث الفضائل منذ بواكير الطفولة ، فبالفضائل يتمتع الطفل بحب واحترام الآخرين كما يتعود التسامح مع نفسه. والسبيل إلى الفضائل هو التعـليم الدينى صباحاً ومساءاً حتى يتعود الإخلاص لله الخالق الواهب الحافظ.

(١٠) تـأتى الـتربية العقلية فى مرحلة تالية للخلقية ، ولا يرمى من التربية العقـلية أن يحقـق المتعلم كمالاً فى علم من العلوم ، ولكن ليتفتح عقله لشتى العلوم.

(٥) جان جاك روسو (١٧١٢ – ١٧٧٨).

فيلسـوف فرنسـى ، ولـد فى مدينة جنيف ، ونشأ بها ، توفيت أمه عقب ولادتـه ، وأهمـل أبوه وأهله أمر العناية به ، فلم يذهب إلى مدرسة قط بل علمه الدهـر وحنكـته التجارب فهجر بلده جنيف ، وهو فى السادسة عشرة من عمره وسافر إلى بلاد شتى ، ثم اتجه إلى فرنسا واستقر فيها وكان على علاقة بفلاسفتها وأدبائهـا وكانت أكثر مؤلفاته تعمل على تغيير نظام الأسرة ونظام الحكم ، ونظام الـتربية والتعـليم ، وفى كتابه العقد الاجتماعى أشاد بالديمقراطية وسيادة الشعب وفى كـتاب "إميل" قدم نظام تربوى جديد "حتى أن تاريخ التربية لا يعدو أن يكون

obeikandi.com

منذ ظهور "روسو" إلا تعديلاً أو نقداً أو إقراراً لما جاء به كتاب "إميل" من آراء"[1] فقد وضع فى كتاب "إميل" خلاصة فكره التربوى حيث وضح كيف يربى تربية سليمة وكيف يربى الطفل منذ ولادته حتى يبلغ العشرين من عمره ، الأجزاء الأربعة الأولى من إميل لتربيته ، أما الجزء الخامس فشرع فيه تربية البنت لتكون امرأة تربى أبناءها وتسعد زوجها.

وكانت سنوات "روسو" الأخيرة متسمة بالمتاعب فبعد أن ألف "إميل" خاف الاعتقال فهرب إلى إنجلترا. وظل يتنقل هو و"تيريز" من مكان إلى آخر حتى عادا متنكرين إلى "باريس" سنة ١٧٧٠ ، وضاقت زوجته به وأهملته. وعاش بائساً يكسب قوته بنسخ الموسيقى حتى ضعفت أعصابه وعجز عن الكتابة أو كاد. وجالت برأسه هواجس وخواطر غريبة ففقد الثقة فى كل الناس ، ثم انسحب إلى الغابات حيث قدم له صديق كوخاً فى غابة يسكنه. وعادت إليه الخواطر السوداء فظن أن أعداءه يحيطون به. ويقال أنه انتحر ، وقيل إن سكتة قلبية دهمته فمات ودفن فى ليلة صيف هادئة بين أحضان الطبيعة وسط أشجار جميلة. وبعد أن نجحت الثورة الفرنسية (١٧٨٩) حمل الثائرون جثته حيث دفن مع العظماء فى البانثيون.

أما عن آرائه التربوية التى تردد صداها يمكن تلخيصها:

(١) يرى أن هدف التربية هو تكوين إنسان كامل ، وأن على التربية أن تزيل كل شىء لتنمو الطبيعة الإنسانية وترقى ، فالتربية بهذا المعنى وسيلة يزول بمقتضاها ما يعوق نمو الطفل وما يؤثر فيه تأثيراً سيئاً.

([1]) ماك كالستر "نشأة الحرية فى التربية" ترجمة أمين مرسى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٣٥٦.

(٢) ثـــار"روسو"ضد النظم القائمة وخاطب الناس قائلاً:"سيروا ضد ما أنتم عـــليه تصلوا إلى النجاح"، وقد هزأ بالتعليم المدرسى العادى ، ونصح المربين بأن يرجعوا مع الأطفال إلى الحالة الطبيعية.

(٣) يرى"روسو"أن التربية الأولى من الميلاد إلى سن الثانية عشرة يجب أن تكـــون ســـلبية محضة ، إذ أنها لا تدعو إلى بث الفضائل بل عليها أن تـــبعد كـــل ما يكوّن الرذائل عند الطفل ، وحتى تحفظ عقل الطفل من الخطأ. والخير فى أن تترك الطفل دون أن تفعل شيئاً له. وفى رأيه ألا يعلم الطفل شيئاً حتى الثانية عشرة.

(٤) ويـــرى"روسو"على المربين دراسة الأطفال وأن يدرسوا العالم فى نظر الطفـــل وعقليـــته وغرائزة وميوله وتفكيره ... الخ ، ويقول "ادرسوا أطفـــالكم إنـــنا لا نفهـــم معـــنى الطفولة". وكان يرى أن جهل المربين بالأطفـــال والطفولـــة أدى إلى تربيـــتهم تربية خاطئة – ورأى .. "إن الطـــبيعة تتطلب أن يكون الأطفال أطفالاً قبل أن يكونوا رجلاً" والطفل فى نظـــره ليس رجل صغير ولكنه كائن فى طريق النمو. ويتكلم"روسو" عـــن بعـــض صـــفات الأطفال فيقول "عن الأطفال لا يفكرون إلا فى الحاضـــر دائمـــاً ، إن فى استطاعتك أن توحى إليهم بذوق أو عاطفة ، إنهـــم معجـــبون بإنفســـهم يتمنون أن يكون لديهم ما لدى غيرهم ، إنهم مـــرحون محبون للمحاكاة ، إن الطفل يتمنى أن يكوّن أشياء ، وأن يقلد وأن ينتج ، وأن يظهر قوة ونشاطاً [١]

---

(١) سعد مرسى أحمد "تطور الفكر التربوى".مرجع سابق.ص ٤١٩.

وكان يرى أن وظيفة المربين إعداد الطفل للحياة المقبلة وأن يدركوا العالم فى نظـــره ، وكيـــف يراه ويتخيله ، وأن يفكروا فى عالم الطفولة الذى يعيش فيه حتى يأخذ من المواد ما يلائم ذلك العالم.

٥- اهتم"روسو"بنشاط الطفل ونصح بمده بالسوائل التى يظهر فيها هذا النشاط ، كما نادى باستغلال حواس الطفل وتربيتها منذ الطفولة. بل إنه نادى بعدم تعليم الأطفال القراءة فى الصغر معتقداً أن حركة الطفل ولعبه أكثر فائدة له فى الناحيتين الجسمية والعقلية.

٦- يـــرى"روســـو" أن يقلل بقدر المستطاع من الأوامر والنواهى التى يصدرها الكـــبار للأطفال ، كثرتها تميت شعور الطفل ، ولا تدفعه على التفكير لأنه يصبح آلة فى يد غيره. ولذلك فهو يرى أن يتعود الطفل السلوك دون سلطة خارجيـــة تصـــده عن الخطأ . إذ أن معنى هذه السلطة أنه يعمل خوفاً من عقاب ولا يفكر فى إرضاء ضميره أمام الله والإنسانية. وإنما سلك ما يسلك لارضاء غيره.

٧- يؤمـــن"روســـو" بتشجيع الدراسة العملية والطبيعية والرياضة ، ويندد بتعليم الآداب واللغات. كما يرى ألا يعتمد الطفل على الكتب وحدها فى التعليم.

٨- وفى رأى"روسو" أن يترك الطفل للطبيعة يتعلم ما فيها من أسرار ، ويدرس ما فيها من نبات وحيوان وجماد حتى يقدر قدرة الخالق. والطبيعة فى نظره خيرة وان الشر يأتى إلى الإنسان من احتكاكه بالناس.

وقـــد عبر"روسو" عن آرائه التربوية فى كتاباته، وخاصة فى"إميل". و"إميل" شخصـــية رباهـــا "روسو" فى كتابه ، ولم يقترح نظاماً للتعليم ، ولكنه ترك الطـــبيعة تـــأخذ مجراها ، والكثير من الآراء التى أوردها لا يمكن تطبيقها

اليوم. ولكن"روسو" يقترح عديداً من الوسائل لدراسة طبيعة الطفل. والكتاب فى خمسة أجزاء [1]:

١- **الجـزء الأول:** من الميلاد إلى الخامسة ، وينصح"روسو" بأن ينقل الطفل إلى الـريف ليعيش وسط الطبيعة. ولا يتدخل أحد فى تربيته ، بل يترك لـتقوم الطـبيعة بتهيئة الظروف للنمو الداخلى لمواهب الطفل وأعضائه. وينصـح بألا يلف الطفل بعد ولادته بالأربطة واللفافات ، فهذا معوق لنموه الطـبيعى ، وألا نغـالى فى العناية به حتى ينمو مستعداً لمقابلة صعوبات الحيـاة ، فـنجيب طلباته الضرورية دون إسراف ويوجه الطفل فى هذه المرحلة : الأم مصدر حبه ، والأب وهو المربى الأولى للطفل ، ثم المعلم الذى يعلم الطفل واجبات الرجال.

٢- **الجـزء الـثانى** : من الخامسة إلى الثانية عشرة ، ويظل الطفل فى الريف والـتربية فى هـذه المرحـلة جسمية ، وينصح بأن يعوّد الطفل الخشونة وتـتميز هـذه المرحلة بأن التربية فيها سلبية. تهتم بتعويد الطفل العادات الخلقية السليمة ، ولا يتعلم القراءة والكتابة ، بل لا يحمل الطفل على تعلم أشياء لا يقدر على فهمها ، وأن يقتصر الإعداد التربوى للطفل على مجرد تدريب الحواس.

٣- **الجـزء الـثالث** : مـن الـثانية عشرة إلى الخامسة عشرة ، وهذه مرحلة البـلوغ ويراها"روسو" مرحلة التفكير والدراسة ، ومرحلة العمل والتعليم. وينصـح بـأن نعتمد على الظمأ الطبيعى للطفل نحو المعرفة ، وأن نعتمد عـلى الطـبيعة وألا نـلجأ إلى الكتب ، فالعالم المحيط بالطفل هو كتابه

([1]) المرجع السابق ص ٤٢٠.

وحقـائق هـذا العالم هى موضوعات التعليم. وينصح"روسو" بتعليم "إميل" الجغرافية والفلك والجبر والطبيعة ، ويكون تعلمها بطريقة عملية.

ويـرى أن يكون كتاب"روبنسن كروزو" أول كتاب يقرأه"إميل" ، سيتقمص شخصـية "روبنسـن"ويتعـلم بعض الصناعات التى كان يقوم بها بطله ، وأن هذا سـيحرك فيه دافع البحث عن فنون أخرى. ومرة أخرى ينصح"روسو" بأن يتعود "إميل" التقشف فيفترش الأرض ويلتحف السماء مثلاً.

٤- **الجزء الرابع** : من الخامسة عشرة إلى العشرين ، فبعد أن أخذ"إميل" قسطاً كافيـاً مـن التربية الجسمية والعقلية أصبح لازماً أن يربى دينياً وأخلاقياً حـتى يـدرك صـلته بالـناس وعلاقته بالله. ويرى الإقلال من النصائح والإرشاد وزيادة اتباع الطرق العملية واحتذائه المثل الصالحة التى يلمسها فى سـير أبطـال التاريخ. ومن رأى"روسو" أن تعليم الدين يبدأ فى سن الخامسـة عشـرة. ويفيـد "إميل" من احتكاكه بذوى الخلق السيء وزيارته للملاجئ والسجون حتى يشاهد أمثلة محسوسة للبؤس ويتعرف على نتائج السلوك الخاطئ. وفى هذه المرحلة يبدأ"إميل" يتذوق القراءة والفن. [1]

٥- **الجـزء الخـامس** : تـربية المرأة ، فقد كبر "إميل" وبدأ يبحث عن زوجة ، فوجـد صوفى. وفى هذا الجزء يعطينا"روسو" آراءه عن تربية البنت التى ستصـبح امـرأة مهمتها إرضاء الرجل. ولهذا فيجب أن تربى لتحقق هذا الهـدف ، وحيـث أنهـا تسعى إلى إرضاء رجلها فيجب أن تمرن جسمياً لـتكون رشـيقة سـليمة البـنية قوية ، وتتعلم الطهى والتطريز والعناية بالأطفال، وتتعلم كيف تكون فاتنه جذابة ، وكل ما تتعلمه يدور حول إسعاد وخدمـة الـرجل. ومما لا شك فيه أن المربين لا يختلفون فى أن"روسو"

([1]) المرجع السابق،ص ٤٢١.

واضـــع أصول المذهب الطبيعى فى التربية فقد ألح بوجوب اتباع الطبيعة فيقول "إن كل شيء حسن طالما هو فى يد الطبيعة ، ولكن كل شيء يلحقه الفساد إذا مسته يد الإنسان" [1] ومن صيحة"روسو" يبدأ عصر جديد للتربية يستخدم أسسه من دراسة الطفل والطبيعة على السواء.

٦- جون استيوارت ميل (١٨٠٦ – ١٨٧٣) Stuart Mill.

فيلســوف إنجــليزى من أهم فلاسفة القرن التاسع عشر ، وابن"جيمس ميل" الفيلســوف المــؤرخ صديق"بنتام"صاحب مذهب المنفعة فى الفلسفة ، رباه والده تــربية جديــة مــنذ الثالثة من عمره كى يكون خليفته فى نشر هذا المذهب.وكان "استيوارت ميل" شديد الذكاء ، حتى أنه "تعلم اللغة اليونانية وهو ابن ثلاث سنين ، وقرأ الكتب بها قبل أن يبلغ الثامنة ، كما أحسن مطالعة الكتب اللاتينية قبل الثانية عشــرة" [2] ومن أهم مؤلفاته "فى الحرية" حيث يرى أن الحرية لا تطبق إلا على مــن نضجت ملكاتهم العقلية.وأن هذا الشخص الناضج يتميز بأن له الحرية فى أن يقــرر وجــوده وحياته بطريقته التى يراها وبأسلوبه الخاص ، وليس ثمة سبب ما يــبرر الــتدخل فى شــئون حريته سوى حماية الآخرين من الأذى ، وأما السبب الوحيــد للضغط عليه فى أفعاله فهو درء أى ضرر محتمل وقوعه على الآخرين وبذلــك يرى"سيتوارت"ميل "أن الحرية حق طبيعى لكل إنسان ، ويملكها الإنسان بحكــم الطــبيعة" [3] ولكن متى بلغت الأمة رشدها وجميع الشعوب قد بلغت هذه الدرجــة – فالاكــراه غير جائز لإصلاح شؤون الأفراد وقد أدرك"ستيوارت ميل" ضــرورة استبعاد الحرية من دائرة التربية ، فاستبعاده للحرية يرجع إلى صعوبة

---

(1) جان جاك روسو "إميل أو التربية"،ترجمة عادل زعيتر،القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٦ ، ص ٢٧.

(2) ماك كالستر "نشأة الحرية فى التربية"،مرجع سابق ، ص ٣٧١.

- Stuart Mill, "on Liberty" London, penguin, Book ltd, p. 70.

تطـــبيق رأيـــه عـــلى الشباب ، فقد كان يرى أن "التربية هى أن يقوم أولو الأمر باجبار التلميذ وإكراهه على أن يتلقى كل ما يراه معلمه حقاً وصواباً" [١].

وفى مجـــال الأخلاق كان"استيوارت"يأخذ بمذهب المنفعة العامة حيث يرى ان الأفعال الخيرة هى التى تحقق أكبر منفعة لأكبر عدد من الناس وفى ذلك يرى " استيوارت " "أن المنفعة تعتبر المرجع الحقيقى فى جميع المسائل الأدبية والمباحث الخلقية ولكن على شرط أن يفهم منها المنفعة بأوسع معانيها ، المنفعة القائمة على مـــا للإنســـان من المصالح الخالدة باعتباره كائناً متطوراً" [٢] . وفى مجال مناهج الـــبحث العـــلمى كان"ستيوارت"يدافع عن المنهج الاستقرائى التجريبى القائم على الملاحظـــة ووضـــع الفـــروض والتثبت من صحة الفروض وقدم"ستيوارت"طرقاً للاستقراء منها طريقة الاتفاق أو التلازم فى الوقوع Method of agreement .

وهى تعنى وجود العلة يستلزم وجود معلولها ، وقد عرض"فرنسيس بيكون" لهـــذه الطريقة وسماها قائمة الحضور فى منهجه،والطريقة الثانية طريقة الإختلاف أو الـــتلازم فى التخـــلف Method of Difference وهى تعنى أن غياب العلة يستتبع غياب معلولها وتقوم هذه القاعدة على تجربة نمنع بها وجود العلة لنرى إذا كان المعلول يمتنع – مع وجود الظروف السالفة – أو يظل قائماً وقد نضيف العلة إلى ظـــروف أخـــرى لنرى هل يقع المعلول أو لا يقع ، وبهذا نتبين وجود علاقة علية بين ظاهرتين استناداً إلى أن غياب أحداهما يستلزم غياب الأخرى. وقد أشار "ستيوارت"إلى طريقة أخرى وهى طريقة الجمع بين الاتفاق والإختلاف وهى تجمع بيـــن الطريقـــتين الســـالفتين بمعنى أن وجود العلة يستتبع وجود معلولها وغيابها يستلزم اختفاء معلولها وهناك طريقة أخرى هى طريقة التغير أو التلازم فى التغير وهى تشير إلى تحديد العلاقة العلية تحديداً كمياً وعددياً ، مستنداً إلى أن كل تغيير

([1]) مالكالستر "نشأة الحرية فى التربية" مرجع سابق ، ص ٦٦.

[2] - John Stuart "on Liberty". P. 68.

يطـــرأ على العلة يقترن لا محالة بتغيير مشابه له يلحق بمعلولها وأشار"سيتوارت" إلى طـــريقة البواقى Method of Residues ويراد بها الطريقة التى بها نعرف علة شيء ما فى حادثة تعددت فيها العلل ، فإذا نشأ معلولان عن علتين وعرفتا أن احـــدى العلـــتين عـــلة لأحد المعلولين قلنا أن المرجح أن تكون للعلة الثانية سبباً للمعـــلول الثانى وقد لخص"ستيوارت"هذه الطريقة فى القانون التالى "إذا استبعدت من ظاهرة جزءاً عرفت باستقراء سابق أنه نتيجة أحداث سابقة فإن الظاهرة يكون نـــتيجة لـــباقى هذه الأحداث" [1] ومعنى هذا أن علة شيء ما ، لا تكون علة شيء آخر يخالفه.وخلاصة القول أن"سيتورات ميل" قد اهتم بالمنهج العلمى من ملاحظة وأجـــراء التجارب وفرض الفروض والتثبت من صواب هذه الفروض أو خطئها وبهذا يتوصل العالم إلى وضع القوانين التى تفسر الوقائع.

(٧) الواقعية النقدية Critical Realism:

أنشـــأ هـــذا الإتجاه الجديد سبعة من الفلاسفة الأمريكان منذ عام ١٩١٦ ، وكـــانت نظرية المعرفة مدار بحثهم غير أنهم رفضوا موقف الواقعية الجديدة فى ضـــم الغـــارف والمعـــروف فى نمط واحد ، وعادوا إلى الثنائية التى يتميز فيها الشـــخص العارف من الشيء المعروف ، وأن الشيء المعروف له وجود مستقل عن هذه المعرفة كل الاستقلال ، كما رفضوا القول بوجود فارق بين ظاهر الشيء وحقيقتـــه ، أو مـــا يبدو من الشيء والشيء فى ذاته ، وقد اشترك هؤلاء الفلاسفة السبعة فى وضع كتاب "مقالات الواقعية النقدية – دراسة تعاونية لمشكلة المعرفة". والفكرة الرئيسية التى اتفق عليها فلاسفة الواقعية النقدية هى أنه فى بعض حالات المعرفة يمكن التميز بين طرفين: طرف منهما هو الشيء الذى نعرفه ، والثانى هو الوعى الذى نعرف عن طريقة الأشياء فقد صرحت الواقعية النقدية انها لن تخطئ خطأ المثالية حيث حصرت الذات الإنسانية فى مجرى وعيها،ولكن الواقعية النقدية

([1]) توفيق الطويل،"أسس الفلسفة"،مرجع سابق ، ص ١٧٤.

جعـلت وعى الإنســان حلقة وسطى بين الشيء المعروف والعقل العارف سواء كـانت هـذه الحلقة الوسطى إدراكاً حسياً أو إدراكاً عقلياً أو تذكراً لإدراك ماضى دون أن تقف هذه الحلقة الوسطى حاجباً يحجب العقل وراء ستار، فلا يتصل بالعالم الخـارجى كما يقع، ومعنى ذلك أن الأشياء التى نعرفها موجودة وجوداً حقيقياً فى الخـارج كمـا سيتضـح عـند الحديـث عن نظرية المعرفة فى الفلسفة الواقعية المعاصرة.

(٨) الواقعية الجديدة New Realism

الواقعيـة الجديدة المعاصرة تتألف من ستة من الفلاسفة الأمريكان، وتدور فلسـفتهم حول نظرية المعرفة، وفهم العلاقة بين الذات العارفة وموضوع معرفتها. وفلاسـفة الواقعية الجديدة يروا أن المعرفة تقع مباشرة وبغير وسيط ، مما يجعل معرفتنا للشيء الخارجى صورة مطابقة لحقيقته فى الخارج.

وأشـهر فلاسـفة الواقعيـة الجديدة "بيرى" perry و"منتاجيو" Montague و"هولـبت" Holt و"فيـتكن" Fitkin و"سـبولدنج" Spaulding و"مـارفين" Marvin واشـتركوا جميعـاً فى وضع كتاب "دراسات تعاونية فى الفلسفة" فى عام ١٩١٠ شرحوا فيه مذهبهم الفلسفى الذى ركز على نظرية المعرفة، وخاصة تحليل العلاقة بين الشخص العارف والشيء المعروف، وفى تحليلهم لتلك العلاقة قد دمجوا ثلاثة مذاهب فلسفية فى مذهب واحد ، أولها مذهب فلسفة الحس المشترك الذى شاع فى "إنجلـترا" عـلى يد "جورج مور" ، ويرى "مور" أن خبرة الإنسان المباشرة فى حياته اليومية هى المعتمدة فى معرفتنا بالأشياء التى تقع له فى تلك الخبرة المباشرة. وأما المذهـب الـثانى مـن المذاهـب الـتى أدمجها الواقعيون الجدد فى فلسفتهم فهو الإعتراف بالوجود الضمنى للمعانى الكلية جرياً على المبدأ الذى أخذ به "أفلاطون" فى نظـرية المثل حينما أطلق "أفلاطون" على الاسم الكلى مثل شجرة وبحر وجبل عـلى مفردات كثيرة مما يدرج تحت نوع واحد حيث تكون المفردات كثيرة، وكلها

تـــندرج تحـــت اســـماً واحداً كلياً،والمذهب الثالث الذى دمجة الواقعيون الجدد فى فلســـفتهم هـــو مـــا كـــان واقعيون سابقون قد أخذوا به مثل"جون لوك"ويشير هذا المذهـــب إلى أن إدراك الإنسان لشىء ما إنما يجئ مباشرة،وليس عن طريق حلقة وســـطى تتوســـط بين الذات العارفة والشىء المعروف. (١) وسيتضح عند الحديث عن نظرية المعرفة فى الفلسفة الواقعية المعاصرة فى الفصل الرابع.

(٩) الواقعية المعاصرة فى إنجلترا.

والفلســـفة الواقعية المعاصرة فى إنجلترا أخذت أشكالاً متعددة عند كل من "راســـل"Russell و"مـــور" Moore و"وايـــتهيد"Whitead و"صـــمويل ألكســـندر" Alexander ومورجـــان Morgan.وقد اتفقوا جميعاً فى رفض الفلسفة المثالية بكافة أشكالها،ومع ذلك لكل فيلسوف منهم مذهبه الخاص به الذى يميزه عن غيره مـــن الفلاســـفة الآخرين إلا أنهم جميعاً اتفقوا على نقض المبادئ التى تقوم عليها الفلسفة المثالية مثل العقل هو المصدر الوحيد لمجموعة العلاقات أو المقولات التى تربط بين الأشياء ، والمكان والزمان إطاران عقليان ولا وجود لهما خارج الذهن والقيـــم معاييـــر ذاتية صرفه تضعها الذات،ووجود الشىء مرهون بإدراك الذات العارفـــة له،واســـتقلال الطـــبيعة عن العقل وهم زائف ، كل هذه المبادئ السالفة تؤمـــن بهـــا الفلســـفة المـــثالية إلا أن الواقعيين المعاصرين رفضوا هذه المبادئ وباختصار شديد الفلسفة الواقعية كانت رد فعل للفلسفة المثالية ، كما اتفق الفلاسفة الواقعيـــون على أن الطبيعة ليست ثابتة ولامتية بل هى دائمة الحركة ، ظواهرها ديـــناميكية وأحداثها فى صيرورة لا تهدأ،ومع ذلك فهى مستقلة عن الذات العارفة ويتضـــح هذا عند الحديث عن نظرية المعرفة فى الفلسفة الواقعية المعاصرة عند "راسل"و"وايتهيد"فى إنجلترا و"بيرى"فى أمريكا.

---

(1) منتاجيو"قصة الواقعية الأمريكية: فلسفة القرن العشرين" ترجمة عثمان نويه ، القاهرة،مؤسسة سجل العرب ١٩٦٣ ، ص ٢٠٨.

خاتمة الفصل:

استهدف هذا الفصل دراسة التطور التاريخى للفلسفة الواقعية منذ بدأ الفلسفة قبل الميلاد عند اليونان وحتى القرن العشرين.وذلك من خلال المحاور السابقة التى بينت ماهية هذه الفلسفة الواقعية.وأهم أعلامها من الفلاسفة عبر التاريخ.وذلك بهدف الكشف عن الأرضية التى نشأت فيها الفلسفة الواقعية المعاصرة فى القرن العشرين وخاصة عند"راسل"و"بيرى"و"وايتهيد"كما أن التطور التاريخى يكشف لنا مدى تأثر الواقعية المعاصرة بالواقعية الفلسفية السابقة سواء كان من الناحية الفلسفية أو التربوية ، وفى الفصل التالى تتناول الدراسة الطبيعة الإنسانية وانعكاساتها التربوية لدى الفلسفة الواقعية المعاصرة وخاصة عند"بيرى" "وراسل"و"وايتهيد"

obeikandl.com